

٣

سازمان اسناد و کتابخانه ملی

مَنَوَكَةُ بَذَتْ زَمْعَةَ

أَسْمَاءُ الرَّسُولِ وَالزَّوْجِ

بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى

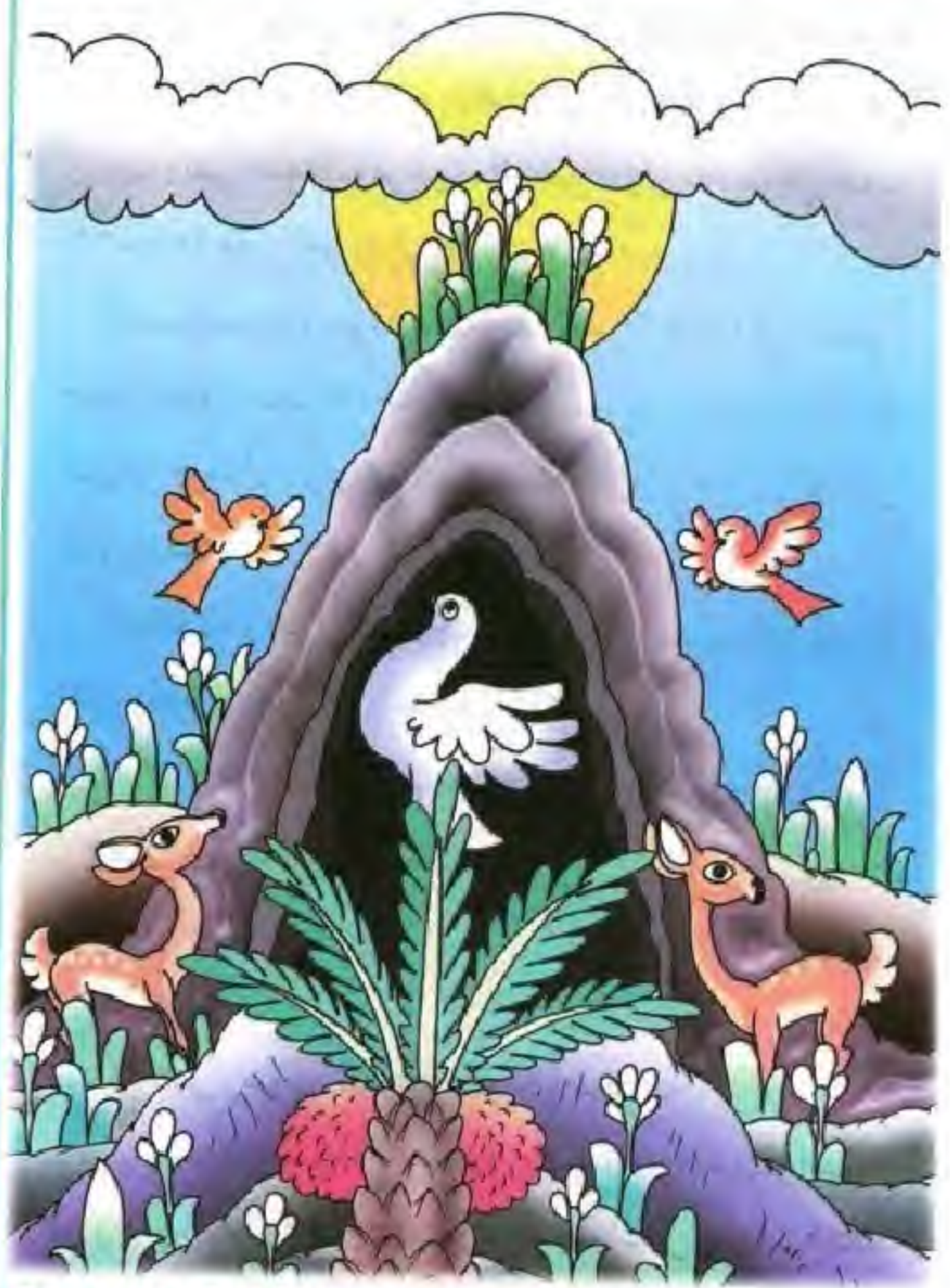
كلمة الله الواحدة والمكلمة الواحدة

تركت وفاة السيدة (خديجة بنت خويلد) فراغاً كبيراً
في نفس الرسول ﷺ ، فقد كانت نعم الأنيس ، الذي يؤاسي
النبي ﷺ ويخفف عنه آلامه ويشد من أزره .
وتساءل الصحابة بعد موت (خديجة) :

- هل يبقى الرسول ﷺ بلا زوجة بعد وفاة أم المؤمنين
(خديجة بنت خويلد) ؟

وانطلقت (خولة بنت حكيم السلمية) إلى رسول الله ﷺ
لتفتحه في موضوع زواجه ، فقالت له في تلطف ورفق :
- يا رسول الله ، كأنني أراك قد أصابتك وحشة لفقد
(خديجة) !

فقال النبي ﷺ في تأثر :
- أجل ، كانت أم العيال وربة البيت .
وانتهزت (خولة بنت حكيم) الفرصة ، وقالت :
- يا رسول الله ، أفلا أخطب لك ؟
وسألها الرسول ﷺ عن تقصدها (خولة) ، فقالت :
- يا رسول الله ، أخطب لك (سودة بنت زمعة) ، أرملة
السكران بن عمرو الأنصاري .



وراحت (خولة) تقصُّ على الرسول ﷺ قصة هذه المرأة المجاهدة ، التي هاجرت مع زوجها إلى الحبشة ، وهناك مرض زوجها ولقي حتفه ، وتركها بلا عائل ، ولو عادت إلى أهلها لأرغموها على العودة إلى الكفر والوثنية .

كانت السيدة (سودة بنت زمعة) امرأة طاعنة في العمر ، حيث تجاوز عمرها الخامسة والخمسين ، ولم تكن ذات مالٍ أو جمالٍ ، وبرغم ذلك فقد وافق الرسول ﷺ على الزواج بها .

وانطلقت (خولة بنت حكيم) حتى أتت بيت (سودة بنت زمعة) ، فدخلت عليها ، وقالت لها :

- ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة يا (سودة) ؟
فسألت سودة في دهشة :

- ماذا لديك يا خولة ؟

ف قالت :

- أرسلني رسول الله ﷺ لكي أخطبك له .

ولم تصدق (سودة) نفسها ، فبعد أن أظلمت الدنيا في وجهها بعد وفاة زوجها ، وانصراف الناس عنها ، عادت



الحياة تبسم لها من جديد ، وتفتح لها ذراعيها عن آخرهما ،
لكي تسوي فيها الروح ، بارتباطها بسيد البشر ، وخاتم
المرسلين ﷺ .

وأرسلت (سودة بنت زمعة) إلى رسول الله ﷺ
تقول له :

- أمرى إليك يا رسول الله .

فقال لها رسول الله ﷺ :

- مري رجلاً من قومك يزوجك .

فأمرت ابن عمها (حاطب بن عمرو) أن يتولى أمر زواجها ،
فزوجه (حاطب) للنبي ﷺ ، فكانت أول زوجة يتزوجها
النبي ﷺ بعد السيدة (خديجة) .

وتعجب بعض أهل مكة من هذا الزواج ، وقالوا غير
مصدقين :

- امرأة في هذا العمر ، غير ذات مال ولا جمال ، يتزوجها
(محمد) بعد (خديجة بنت خويلد) سيدة نساء قريش ؟
لكن هذا كان يؤكد نبل أخلاق الرسول ﷺ ، فقد كان
الغرض الأساسي من هذا الزواج هو مواساة هذه الزوجة ،



وحمايتها من بطش أهلها وتعذيبهم لها ، ومكافأة لها على صبرها وتحملها للشدائد في سبيل الله .

كذلك فقد كان الرسول ﷺ يطمع أن يكون هذا الزواج سببا في محو الحقد والضغينة من قلوب قومها ، فقد كانوا يظهرُونَ العداء الشديد للرسول ﷺ والإسلام ، ولا شك أن هذا الموقف قد أثر فيهم تأثيرا شديدا ، فقد أعجبوا بهذا الصنيع الرائع من النبي ﷺ ، وبالفعل خفف قومها من عداوتهم وبغضهم للإسلام ، ودخل منهم عدد كبير في دين الله .

ومنذ دخلت (سودة بنت زمعة) بيت النبي ﷺ ، وهي تدرك أن مهمتها هي إرضاء رسول الله ﷺ ، والقيام بتدبير شؤونه ، والتخفيف من آلامه وهمومه مثلما كانت تفعل (خديجة بنت خويلد رضي الله عنها) .

وارتفعت (سودة بنت زمعة) بفضل زواجها من الرسول ﷺ إلى مرتبة عالية ، حيث صارت أما للمؤمنين ، بعد أن كانت مجرد زوجة لرجل منهم .

ولم تكن تريد أكثر من ذلك ، بل يكفيها هذا النسب وهذه الصلة من رسول الله ﷺ ، ولذلك فقد قالت للرسول ﷺ :



- يا رسول الله ، ما بي على الأزواج من حرص ، ولكني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجا لك .

ورأت (سودة بنت زمعة) ، وقد كبرت سنّها ، أنها لا تستطيع أن تقدّم للنبي ﷺ أكثر من رعايته والقيام على خدمته ، فطلبت من النبي ﷺ أن يبقى معها عابى أن تهب يومها لأم المؤمنين (عائشة بنت أبي بكر) وقالت :
- يا رسول الله ، لقد جعلت يومي وليتي لـ (عائشة) .

ففعل الرسول ﷺ ذلك ، وتفرغت (سودة بنت زمعة) لإرضاء رسول الله ﷺ ، وحرصت على التقرب إلى الله ، فراحت تجتهد في العبادة ، وتفتخر بأنها ترتبط برسول الله ﷺ بالرباط المقدس .

كانت (سودة بنت زمعة) مريحة خفيفة الظل ، فكانت سببا في التخفيف عن رسول الله ﷺ بما كانت تملكه من هذه الروح السميحة ، وكانت تضحكه ضحكا بريئا .

فقد صلت خلف النبي ﷺ ذات ليلة ، فأطال النبي ﷺ في الركوع ، فلما انتهى من صلاته ، قالت له :
- يا رسول الله ، صليت خلفك الليلة ، فركعت بي فأطلت ،



حتى أمسكتُ بأنفي مخافةً أن يقطر الدم .
وكانتُ (سودة بنت زمعة) طيبة القلب إلى درجة كبيرة ،
فكانتُ تتصرفُ بعفوية شديدة ، دون أن تقصد شيئاً
أو تتعمده .

فبعد أن انتهت غزوة بدر ، وجاء المسلمون بالأسرى ،
ورأتُ (سودة) (سهيل بن عمرو) - وهو أخو زوجها
السابق - في الأسر ، ورأتُ يديه مربوطة إلى عنقه بحبل ،
فلم تملك نفسها أن توجه إليه الكلام قائلة :
- يا أبا يزيد ، أسلمتم أنفسكم وأعطيتم بأيديكم ،
ألا متُّ كراماً !

وسمِعها الرسول ﷺ فناداها من البيت ، وقال لها :
- أعلَى الله (عز وجل) وعلى رسوله تحرضين ؟
فأجابت قائلة :

- يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، ما ملكت نفسي
حين رأيتُ أبا يزيد ، مجموعة يداها إلى عنقه ، أن قلتُ
ما قلتُ !

وكان الرسول ﷺ يعلمُ فيها هذه الصفة ؛ ولذلك فقد
سكت عنها ولم يلح في عتابها .

وعاشت (سودة بنت زمعة) في بيت النبي ﷺ ، وامتدت
بها الحياة حتى زمن (عمر بن الخطاب) ، فماتت في آخر
خلافة (عمر) .

وحزنت من أجلها (عائشة الصديقة رضي الله عنها) ،
وتذكرت قلبها الطيب الرقيق ولسانها العف النظيف ،



كما تذكّرت حرصها على إرضاء رسول الله ﷺ بأي صورة ،
حتى وإن كان في ذلك تنازل عن حقها عن طيب خاطر
ورضا نفس .

وقالت (عائشة) وهي تودّعها إلى مثواها الأخير :
- ما من امرأة أحبّ إليّ أن أكون معها من (سودة بنت
زمعة) ! لما كبرت ، قالت :

- يا رسول الله ، قد جعلت يومي منك لـ (عائشة) !
رحم الله السيدة (سودة بنت زمعة) ، التي كانت مثالا
للتضحية والفداء ، فقد هاجرت هي وزوجها إلى الحبشة
في سبيل الله ، وتحملت بشجاعة الموقف وأثبتت أنها جديرة
بحب المسلمين وثقة رسول الله ﷺ .

وعندما انتقلت إلى بيت النبي ﷺ ، عرفت كيف تقوم
بدورها كزوجة ترعى زوجها وتخفف عنه آلامه وهمومه ،
وكمؤمنة صادقة الإيمان لا يعرف الشك سبيلا إليها ،
وكأم للمسلمين حرصت على أن تبقى مجردة زوجة تقوم
على خدمة الرسول ﷺ ، ولا تتطلع إلى أكثر من ذلك ،
فقد كانت تدرك أن الارتباط - مجرد الارتباط - برسول
الله ﷺ تشریف ما بعده تشریف .



ولذلك فقد حرصت على هذه الصلة التي تربطها
بالنبي ﷺ ، وقالت :

- يا رسول الله ، والله ما بي على الأزواج من حرص ،
ولكنني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجاً لك .
وحقق الله لها ما تريد ، فقد بقيت زوجة للرسول ﷺ ،
وصارت أمّاً لكل المؤمنين في كل زمان ومكان ، إذا ذكرت
دعوا لها بالخير وتذكروا مواقفها النبيلة ودورها المهم
في حياة رسول الله ﷺ .

قال تعالى :

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ
وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا
كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ . [الأحزاب : ٦]

(تمت)

الكتاب القادماً

عائشة بنت أبي بكر (١)

أحب زوجات النبي إلى قلبه

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٢١٣٨